# مصر تملك مستقبلا متميزا

١٨ مايو ٢٠٢٢

تحقيق النجاح، غاية تتمنى كل الدول الوصول إليه، على كل مستوياته، ومنها من يحققه طبقا لرؤيته وإمكاناته، ومنها من يظل يسعى آملا في الوصول لنتيجة مرضية، بين هذا وذاك، تبدو مصر بثقلها التاريخي والجيوسياسي، محط أنظار العالم، بما تملكه من مقومات تقود لتحقيق نجاحات متفردة على أصعدة متعددة، منها ما شهدنا نتائجه، ومنها ما استطاعت أن تحقق فيه رصيدا جيدا، يومئ بأن القادم أفضل.
طبقا لآخر إحصاء لتعداد السكان، أعلنه الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء، وصل عدد السكان لـ ١٠٢مليون و ٨٢٥ ألفا و ٦٢٣ نسمة، وذلك في يناير الماضي، كما أعلن الجهاز عن عدد تلاميذ التعليم قبل الجامعي بجميع فروعه، عام وخاص وأزهري و فنى، ووصل العدد لـ ٢٦.٣ مليون تلميذ، في العام الدراسي ٢٠/٢١ أي ما يفوق الـ٢٥% تقريبا من عدد السكان، وهذا الرقم قابل للزيادة، حيث إنه كان ٢٥.٣ مليون تلميذ في العام الأسبق، ١٩/٢٠، بمعدل زيادة بلغ ٣.٨ %. و هذا مؤشر جيد للغاية.

## فماذا تعنى تلك الأرقام؟ و هل تؤشر لشيء مهم؟

الحقيقة التي لا تقبل الشك، أن تكون نسبة الربع تقريبا من عدد السكان، هي تلك الفئة العمرية المهمة، والتي تزيد تقريبا، بمعدل يدور حول الـ ٣.٨ % سنويا، وهو ما يعنى أن نسبة الربع مرشحة للزيادة أيضا، كل ذلك يؤشر لأننا نملك بنية سكانية قد تكون الأفضل بين دول العالم، بنية التخطيط الجيد لها يمكن من بناء مستقبل واعد لمصر في المنظور القريب. فعلى سبيل المثال، تعانى مصر عجزاً واضحا في عدد الأطباء، هذا العجز يستلزم بكل تأكيد العمل على تلافيه، بل و تحويله من عجز لزيادة تؤمن سبل العلاج وفق أحدث النظم التي وصل إليها العالم، فما العمل؟

مع هذه النسبة الرائعة من التلاميذ، يكون من المفيد و المهم التخطيط لتخريج عدد كبير من الأطباء، وليكن بزيادة جرعة المواد المتخصصة بمجال الطب، كالعلوم البيولوجية ومشتقاتها، بدءا من سن معينة، ثم تزيد بالتدرج، ومن يحقق فيها نجاحات متفردة منذ البدايات، يمكن اختياره في مدارس معينة فى المرحلة الثانوية، ليدرس مناهج مختارة بعناية، تناسب دراسات كليات الطب و الصيدلة .. الخ.

أو يتم تقسيم المرحلة الثانوية بدءا من الصف الأول و حتى الثالث، طبقا لتخصص محدد، خريج ذلك التخصص، يدخل إحدى كليات المجموعة الطبية، مثل الطب، طب الأسنان، الصيدلة، الطب البيطري، العلاج الطبيعي، العلوم، وفى المقابل، يتم التعامل بنفس الكيفية فى تخصصات الهندسة، منذ المرحلة الابتدائية، حتى الإعدادية، ويتم إلحاق الطلاب المتميزين بهذه الدراسة بالصف الأول الثانوي، ليخرج منها على إحدى كليات الهندسة، أو علوم الحاسب .. إلخ.

والأمر في سياقاته، يمكن التعامل به في تلك الأُطر بما يتناسب مع ما نحتاجه، فسوق العمل، بما يضع من شروط، عنصر حاسم في طريقة تخطيط المنظومة التعليمية، ولكن من المؤكد أن امتلاك تلك البنية السكانية، أمر من شأنه حصد نتائج مبهرة على عدد من الأصعدة.

فإذا كان التعليم في الصغر كالنقش على الحجر، فإننا نستطيع أن نصنع مستقبلا متميزا، دون مبالغة، خاصة إذا وضعنا عدد العاملين بالخارج نصب أعيننا، وهم بلا شك رافد مهم للغاية في توفير العملة الصعبة، من خلال تحويلات العاملين بالخارج، من هنا يمكن التعامل مع سوق العمل العالمي وليس المحلى لتؤمن مصر ببنيتها التعليمية الجيدة، أهم عناصر تمويله، وهذا بكل تأكيد يحتاج لنظرة أوسع وأشمل لمنظومة التعليم، فلا يكفى أن تكون هناك وزارة واحدة مسئولة عن هذا العدد الكبير، والذى يمثل مستقبل مصر على المدى القريب.

ألا يحتاج هذا الرقم المهم للغاية، والذى يعتبر كنزا ثمينا جدا، دون مبالغة، لدراسة مستفيضة ومتأنية لمعرفة كيفية الاستفادة القصوى منه، والتكلفة المتوقعة، وقياسها مقارنة بالعائد، ومتى يتحقق العائد، وطريقة تدبير النفقات، كلها أمور ليس من المستحيل تنفيذها، بل من اليسير التفكير فيها، خاصة مع وضع هدف محدد لتلك الدراسة، وليكن كيف تستفيد مصر من بنيتها السكانية؟

رافد آخر أرجو النظر إليه بعناية يستحقها، مصر تعانى تماما ويلات الزيادة السكانية، فهي تنمو دون وجود ناتج محلى يمكن من الانفاق عليها، وعلى مدار العقود السابقة، كانت الزيادة تمثل عائقا حقيقيا في وجه أي تنمية، لذا كانت الزيادة السكانية تأكل نتائج التنمية، الآن يمكن التعامل مع الكتل السكانية بنظرة مختلفة، نظرة تحقق من ورائها عائدا مأمولا.

فالتركيز على هذه الفئة العمرية المهمة، التي تصل لربع السكان تقريبا، من شأنه تحقيق عدة أهداف في نفس الوقت. أهمها تخريج جيل متميز من الطلاب، يستطيع المنافسة وسط أقرانه في دول العالم، بل و يمكن له التفوق عليهم، ومن ثم تصدير عدد كبير من العمالة المصرية المؤهلة للعمل وفق أحدث ما أنتجته النظم التكنولوجية المتطورة، ولنا في الهند عبرة، وذلك شأن يحتاج لمقال منفرد.

وتحقيق تقدم فعال على مستوى النظم التعليمية بالعالم، يتيح لمصر أن تكون دولة جاذبة للطلاب، كما كانت، وهذا من شأنه أن يوفر لمصر دخلا وافرا من العملات الصعبة، هذا من جانب، أما الآخر فهو معنى بتحسين أدوات ووسائل التعليم، بشكل دوري، بما يرسخ لجودة تعليمية مأمولة، يمكن الوصول إليها بما نملكه من امكانات بشرية وفنية في غضون منظور قريب.